مجلة التراث العلمي العربي فصلية ، علمية ، محكمة العدد الأول – 2013م

مساهمة المرأة في الحركة العلمية من خلال كتاب ((أنباء الغمر بأبناء العمر)) لابن حجر العسقلاني (773هـ/852هـ)

(دراسة تاريخية)

م.رشا عيسى فارس
مركز أحياء التراث العلمي العربي
جامعة بغداد

(خلاصة البحث)

إن البحث في مواضيع كهذه يشكل انجازا مهما في دراسة الحياة العلمية في ذلك العصر وخصوصا وهي تتناول ما تميزت به النساء من مكانة علمية واجتماعية في تلك الحقبة . ولم تحظ دراسة العلماء الذين نبغوا في هذا العصر بما حظي به العلماء الأوائل ، بسبب شيوع خطأ تجاه بعض الباحثين مفادا أن الحركة العلمية والفكرية في تلك الحقبة اتصفت بقلة الإبداع وهو ما إليه أشار (فيليب حتى) بقوله " هو عصر جمع وشرح وتفسير ، لا عصر أبداع واستنباط " [1] ، لذا يمكن القول : إن البحث في هذا الحقل من حقول الدراسات التاريخية ما يزال بحاجة الى كثير من جهود الباحثين،من خلال دراساتهم القادرة على توضيح الدور الفاعل للشخصيات العلمية ولاسيما النسوية منها ممن كان لهن اثر في الحياة العلمية في مختلف حقب الحضارة العربية الإسلامية .

المقدمة

تعد دراسة مصنفات المؤرخين العرب والمسلمين و نتاجاتهم في مجال الكتابة التاريخية واحدة من أكثر الدراسات أهمية في تحديد سمات التاريخ العربي الإسلامي ، وترشيح قواعد منهج البحث التاريخي العربي .

ولذلك اخترنا البحث في مساهمة المرأة في الحركة العلمية من خلال كتاب (إنباء الغمر بأبناء العمر) وقد تناولنا فيه السيرة الشخصية والعلمية لعدد من العالمات والمحدثات اللواتي تركن اثرآ واضحا في الحياة الفكرية والثقافيــة فــي النصف الثاني من القرن التاسع الهجري .

وتأتي أهمية هذا الموضوع من كون ابن حجر يعًد واحدا من أبرز العلماء والمفكرين العرب في تلك الحقبة ، والذي نبغ في مجالات علمية عدة كالحديث والفقه والتـاريخ وغيرها ، كمــا إن كتابة(إنباء الغمر) يعد واحدا من أشهر وأوسع مؤلفات كتب التراجم ، إذ صنف وترجم فيه لعدد كبير من النساء ، فضلآ عن وصفه للبلدان والإحداث التاريخية ، وكذلك ذكر القبائل وأنواع المهن والصنـائع وغيرهـا ، ولم يهمل ابن حجر وصف طبـائع شخصياته وهيآتها،حيث أشار إلى هذا الموضوع وبتفصيلات دقيقة ، وبذلك يعد كتابه هذا مؤلفا جامعا للحوادث والتراجم على حد سواء ، وعن ذلك يقول روزنثال " ... التراجم أثبتت صور التعبير التأريخ ...."[(2)] .

ابن حجر السيرة والمكانة العلمية

الحـافظ شهاب الدين أبو الفضل احمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن احمد بن محمود بن احمد بن حجــر الكتاني العسقلاني المصري الشافعي[(3)] .

ولد في الثاني عشر شعبان سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة بمصر العتيقة ونشأ بها يتيما، ويعود لقبه (العسقلاني) نسبه إلى مدينة عسقلان التي تقع بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبين حبرين[(4)] .

وقد اجتمعت عنده علوم كثيرة استقاها من عدة روافده أهمها : علوم اللغة العربية كالنحو والصرف والأدب والعـروض ، وعلوم الحديث ، وكذلك ارتحاله الى بلدان مختلفة كبلاد الشام والحجاز واليمن ومكة وتنقله بين هذه النواحي فضلآ عن

ملازمته العلماء والسماع منهم ، واجتمع له بذلك ما لم يجتمع لغيره وأدرك من الشيــوخ وسمع عن الكثير منهم كالبلقيني والبرهان .الانباسي ونور الهيثمي وآخرين من العلماء ، وأصبح حافظا للإسلام ، وقدوة الأمة وعلامة العلماء وانتفع به الطلبة وحضر دروسه غالب علماء عصره[5] .

دور ابن حجر في ثقافة أسرته

تشير المصادر التاريخية الى أن أسرة ابن حجر قد جمعت بين العلم والحياة العامة ، وقد تزوج من أنس ابنة القاضي كريم الدين عبد الكريم بن احمد بن عبد العزيز بن ابي طالب بن سيدهم النستراوي الأصل من أسره معروفة بالرئاســة والحشمة[6] ، وقد حرص ابن حجر على تثقيفها وتعليمها أمور الدين والدنيا فاستدعى لها عدداً كبيراً من الحفاظ والمسندين من مصريين وشاميين ومكيين فأجازوها وقرأ عليها بنفسه صحيح البخاري في رجب وشعبان من كل سنة وكانت تحتفل في يوم الختم بتقديم أنواع من الفاكهة والحلوى وغيرها [7] ، وقد ولدت له عدة بنات اهتم ابن حجر بتربيتهن التربيــة العلمية الصحيحة وأولى عناية خاصة بأبنته (زين خاتون) وهي البكر (ت 802هـ) ، فأسمعهـا على الحافـظ العراقـي والهيثمي ، وحصل لها على إجازات ، وعلمها القراءة والكتابة [8] ، أما ابنته الثانية (فرح ، ت804 هـ) التي حصل لها والدها على إجازة مع أمها[9] ، في حين حصل للثالثة من بناته (عالية) ، (ت 807هـ) ، على إجازة من جماعـه [10] ، أما (رابعه) ، (ت811هـ) فقد حصل لها على إجازات من المصريين والشاميين واسمعها على المراغني بمكة سنة (815هـ) [11] ، وبهذا يكون الحافظ ابـن حجر قد وضع البنية الأولى لبناء أسس قويمة للحياة العلمية مبتدأ مهمته من متابعته الشخصـية لعائلته لهم

من خلال تثقيفه بأصول ومفاهم صحيحة قائمة على السماع ومنح الأجازات لبناته وزوجته .

لم يفت على ابن حجر في كتابه (إنباء الغمر) الإشادة بجهود النسوة المحدثات اللواتي ظهرن في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري وقد من الشي الكثير لعلم الحديث ومنح الأجازات سوا كان من حافظ أو من عدد كبير من العلماء.

لقد شهدت الأجواء العلمية في القرن التاسع الهجري شيوع ظاهرة التعلم والتخصص من النساء لكثرة حب التعليم وللفضل والأجر، كما أن المجتمع آنذاك كان بحاجة إلى متخصصات لادارة المؤسسات التعليمية والتربوية والمدارس والربط و(الخانقاة) وقد نال علم الحديث اهتمام اغلب النساء واقبلن على تعلمه ومن ثم تعليمه ، طلبا لما لهذا العلم من فضل واسع إضافة إلى كونه سمة من سمات ذلك العصر الذي ظهرت فيه الموسوعات والمدونات مثل كتاب (أنباء الغمر) والذي خرج لنا فيها ابن الحجر عدداً كبيراً من النساء المتخصصات في علم الحديث .

النساء اللاوتي ارخ لهن ابن حجر

1- بركة خاتون بنت عبد الله المولوده والده الملك الاشرف تزوجت الجائ في سلطنة ولدها ، وماتت في عصمته في ذي القعدة سنة (774هـ) ، ولها مدرسة بالتبانة ، وكان الأشرف كثير البر لها بحيث انه أعادها مرارا حتى بالروضة مقابل مصر [12] .

2- فاطمة بنت نصر الله بن أبي محمد بن محمد اللامي، أسمعت الواني ، وكانت خير دينه ماتت في صفر سنة (774هـ) [13] .

3- ستيته بنت الشيخ تقي الدين علي بن عبد الكافي السبتي ، أسمعها أبوها من حسن بن عمر الكردي وحدثت ، وهي أم بدر الدين ابن أبي الفتح وأم سرى الدين ، ماتت في ذي القعدة سنة (776هـ) [14].

4- كلثم بنت محمد بن محمود بن معبد البعلية ، روت عن الحجار وعنها روى ابن بردس وغيره ، ماتت في صفر سنة (777هـ) [15] .

5- فاطمة بنت أحمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الطبري أم الحسن بنت أبي العباس بن الرضي الإمام ، سمعت من جدها الرضي وحدثت وماتت في سنة (779هـ)[16] .

6- فاطمة بنت الشهاب أحمد بن القاسم بن عبد الرحمن بن أبي بكر الحرازي المكية ثم المدينية ، سمعت على جدها الرضي الطبري الكثير ، وسمعت على أخيه الصفي حضوراً ، وأجاز لها الفخر التوزري والعفيف الدلاصي و أبو بكر الرشي والمعظم وآخرون وكانت خير وتوفيت في شوال سنة (783هـ) عن ثلاث وسبعين سنة[17].

7- عائشة بنت الحسن بن علي الدمشقية ، ولدت بعد العشرين وسمعت بأفاده ولدها العلامة شمس الدين ابن الجزري من أصحاب الفخر وماتت في ربيع الأول سنة (785هـ) [18] .

8- عائشة بنت السيف أبي بكر بن عيسى بن منصور بن قواليج الدمشقية ، روت عن القاسم بن مظفر والحجار وغيرهما وحدثت ، وماتت في شوال سنة (793)[19] .

9- أمة الرحيم ، ويقال أمة العزيز بنت الحافظ صلاح الدين العلائي اسمعها من الحجار ، وغيره وحدثت وماتت في التاسع من شوال سنة (795هـ) [20] .

10- زينب بنت أبي البركات البغدادية ، وكانت صالحة فبني لها رباط بجوار خانقاه بيبرس بنته لها الست تذكار بنت الملك الظاهر بيبرس وصار كالمودع للنساء والأرامل وهو المعروف برواق البغدادية توفيت في سنة (796) [21] .

11- ست الركب وهي أخت الحافظ ابن حجر [22] ، أجاز لها في السنة التي تليها أبوها ، ومن مكة ابن عبد المعطي ، ومن المدينة نور الدين الززندي ، ومن المجاورين الكرماني شارح " البخاري " ومن حلب محمد والحسن ابنا رافع ومن بعلبك : العماد بن بردس ومن تونس شمس الدين بن مرزوق ومن مصر: الحافظ زين الدين العراقي، وأبو الفرج ابن الشيخة وصلاح الدين بن مسعود وآخرون ، فنشأت نشأة حسنة وتعلمت الخط وحفظت الكثير من القرآن ، وأكثرت من مطالعة الكتب ، فمهرت في ذلك جداً ، بحيث كان يظن من يراها تقرأ من الكتاب أنها تحفظه لجوده استخراجها ، وقد رثاها البدر البشتكي بقوله:

كم ذا يزيد الدهر في حربي وبالنوى يرمى بلا لب
طيب ثنا أودعته في الثرى يامهر ضاع الطيب في الترب
كم عبرة جاريها بالأسى فلنظر سرت سيدة الركب[23]

12- خديجة بنت الإمام نور الدين محمد بن أبي بكر بن محمد بن قوام البالسة ثم الصالحية سمعت من زينب بنت الخبار وحدثت ، وماتت في شوال سنة (803هـ)[24].

13- زينب بنت العماد أبي بكر بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عباس ابن جوعان سمعت من الحجار وعبد القادر بن الملوك وغيرها ، وقد سمع عليها ايضآ الحافظ ابن حجر وتوفيت في شوال سنة (803هـ)[25] .

14–شمس الملوك بنت ناصر الدين محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن يعقوب إبن الملك العادل الدمشقية روت عن زينب بنت الكمال وقد حصل منها الشيخ ابن حجر على إجازة وتوفيت في شعبان سنة(803هـ) [26] .

15– فاطمة بنت محمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي المقدسية ثم الصالحية أم سيف ،كان أبوها محتسب الصالحية ، وهم عم الحافظ شمس الدين ابن عبد الهادي ، أسمعت الكثير على الحجار غيره وأجازلها أبو نصر ابن الشيرازي ويحيى بن سعيد وآخرون من الشام وحسن الكردي وعبد الرحيم النشاوي وآخرون من مصر،وقد قرأ عليها الحافظ ابن حجر الكثير من الكتب والأجزاء بالصالحية ، وقد أثنى عليها بقوله:نعم الشيخة كانت وماتت في شعبان سنة (803هـ) وقد جاوزت الثمانين[27] .

16– مريم بنت أحمد بن احمد بن قاضي القضاة شمس الدين محمد ابن إبراهيم الاذرعي أم عيسى ، سمعت الكثير من علي بن عمر الواني وأبي أيوب الدبوس والحافظ قطب الدين الحلبي وناصر الدين بن سمعون وغيرهم وأجازلها التقي بن الصائغ وغيره من المسندين بمصر والحجاز وغيرها من الأئمة بدمشق ، وقد خرج لها الحافظ ابن حجر معجما في مجلده وقرأ عليها الكثير من مسموعاتها وأشياء كثيرة بألاجازة ، عاش اربعآ وثمانين سنة و اثنى عليها ابن حجر قوله : ونعمت الشيخة كانت ريانة وصيانة ومحبة في العلم ، وهي أخر من حدث عن أكثر مشايخها المذكورين[28] وقد توفيت في سنة (805هـ) .

17– فاطمة بنت احمد بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن عبدا لله ابن جعفر بن زيد الحسينة ألحلبية أم الحسن آخت الشريف نقيب الاشرف ، ولدت سنة أثنين أو ثلاث وثلاثين ، سمعت على جدها لأمها جمال الدين إبراهيم ابن الشهاب محمود

في ذي القعر سنة سبع وثلاثين وأجازلها المزي وجماعة ، وحدثت بحلب قال عنها القاضي علاء الدين ، وكانت عاقلة دينه وتوفيت في سنة (813هـ) [29] .

18- عائشة بنت محمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قرامة ، المقدسي الأصل ، وقد أسمعت صحيح مسلم على جماعة من أصحاب ابن عبد الدائم ومعظم السيرة على عبد القادر بن الملوك ، وشاركت أختها فاطمة في الكثير من المسموعات والمجازات وتفردت ، وممن أجاز لها إبراهيم بن صالح بن العجمـي من حلب والشيخ شرف الدين البارزي من حماة ، والبرهان الجبري من بلد الخليل وعبد الله بن محمد بن يوسف من نابلس وكانت سهلة في الإسماع سهلة الجانب ، وتوفيت في ربيع الأول سنة (816هـ) [30] .

19- فاطمة بنت الخليل بن أحمد بن أبي الفتح المقدسية ثم القاهرية أجازلها أكثر شيوخ القبـاني الذين ذكروا قبل، وخرجت لها مشيخة أضفتها الى مشيخة القباني وحدثت بآخره.سمع منها الطلبة،وماتت في أول يوم جمادي الأولى سنة(838هـ) [31] .

20- بلقيس بنت بدر الدين محمد بن شيخنا سراج الدين البلقيني ، وقد سلكت أكثر من عشرين سنة طريق التصوف ولبست الخرقة من جماعة وتسمت بالشيخة وتوفيت في سنة (841هـ) [32] .

الخاتمة

عرف عن المنهج التعليمي في الإسلام أنه منهج شمولي ، لا يفصل بين علوم الدين والدنيا ، لذلك كان أغلب العلماء الذين ظهروا إبان أدوار الحضارة الإسلامية المختلفة موسوعيين في علومهم سواء أكانوا نساء أم رجالآ ، فجمعوا بين الحديث وحفظ القرآن الكريم . ويتضح من خلال البحث الدور الاجتماعي المتقدم الذي

احتلته المرأة المسلمة في قرن الوصف بكونه واحدا من العصور المظلمة التي مرت بها الحضارة الإسلامية .

وقد بينت دراستنا لجانب ومن هذا العصر ومن خلال كتاب العسقلاني(إنباء الغمر) حقيقة وجود وعي ثقافي واجتماعي كان معروفا لدى طبقات المجتمع في جوانب الحياة كافة خلال ذلك العصر.

لقد خصصنا جزءاً مهماً من البحث للإشارة الى مساهمة المرأة في الحركة العلمية ، وما أدته من دور بارز في أدارة المؤسسات التعليمية والتربوية والمدارس والتي أوضحها الحافظ ابن حجر من خلال ترجمته لعدد كبير من النساء في كتابه سواء كان ذلك من خلال انشاء المؤسسات أو من خلال منح الإجازات للعلماء عن طريق السماع او المشافهة مما يشير الى أهمية الدور الثقافي والعلمي للمرأة العربية المسلمة في تلك العصور .

الهوامش

1- السيوطي : انظر المقدمة ، ص11 .

2- روزنشال : فرانز ، علم التأريخ عند المسلمين ، م1 ، ص141 .

3- السخاوي : ج1 ، ص36 .

4- ياقوت الحموي :المجلد الأول ، ص88 .

5- الشوكاني:محمد بن علي (ت 1250هـ) ، البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع ،المجلد الأول ، ص.88

6- السخاوي:الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر ،ج3 ، ص1207-1208 .

7- المصر نفسه ، ج3 ، ص1208 .

8- عبد المنعم :ابن حجر العسقلاني دراسة مصنفاته ومنهجه وموارده في كتابه الإصابة ،ج1 ، ص99-100 .

9- العسقلاني :انباء الغمر بأبناء العمر ، مج1 ، ص2 .

10- الجواهر والدرر ، ج3 / ص1210 .

11- انباء الغمر ، ج8 / ص182 .

12- م .ن : ج1 / 48-49 .

13- م .ن : ج1 / 56 - 57 .
14- م .ن :ج1 / 85 .
15- م . ن : ج1 / 177 .
16- م .ن : ج1 / 255 .
17- م .ن : ج2 / 77 .
18- م . ن : ج2 / 147 .
19- م . ن : ج3 / 190 .
20- م . ن : ج3 / 193 .
21- م . ن : ج3 / 226-227 .
22- م . ن : ج3 / 302 .
23- الجواهر والدرر ، ج1 / 144-115 .
24- أنباء الغمر : ج4 / 276 .
25- م . ن : ج4 / 279 .
26- م . ن : ج4 / 280 .
27- م . ن : ج4 / 313-314 .
28- م . ن : ج5 / 126- 127 .
29- م . ن : ج6 / 255 .
30- م . ن : ج7 / 132-133 .
31- م . ن : ج8 / 265-266 .
32- م . ن : ج9 / 20 .

المصادر والمراجع

1- الحموي ، ياقوت : شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت 626هـ - 1228م)، معجم البلدان ، بيروت ، دار صادر ، د.ت .

2- روزنشال : فرانز ، علم التأريخ عند المسلمين ، ترجمة الدكتور صالح احمد العلي ومراجعة محمد توفيق حسين (بغداد ، مكتبة المثنى ، بغداد ،1963م) ، م1 ، ص141 .

3- السخاوي : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت 821-902هـ) ، الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر ، تحقيق ، إبراهيم باجس عبد الحميد ، دار ابن احزم (بيروت- 1999 م) .

4- السخاوي : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت 821- 902هـ) ، الضوء اللامع لآهل القرن التاسع ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ،د.ت .
5-السيوطي : عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين ت(911هـ - 1505م) ، نظم العقيان في أعيان الاعيان ، حرره الدكتور فليب حتي (بيروت المكتبة العلمية 1927م) .
6- الشوكاني: محمد بن علي (ت 1250هـ) ، البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع ، دار المعرفة ، بيروت.
7- عبد المنعم :شاكر محمود ، ابن حجر العسقلاني دراسة مصنفاته ومنهجه وموارده في كتابه الإصابة ، الجمهورية العراقية ، وزارة الأوقاف دار الرسالة للطباعة بغداد ، 1978 .
8- العسقلاني : شهاب الدين احمد بن علي بن حجر (ت 852هـ/1448م) ، انباء الغمر بأبناء العمر ، نشر بعناية الدكتور عبد المعيد خان ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر اباد الدكن ، الهند ، الطبعة الاولى ، (1387هـ -1967م) .

The contribution of women in the scientific movement through the book ((news immersion children of age)) by Ibn Hajar al (773 e / 852 e) (Historical Study)

Teacher Assistant Rasha Issa Fares
Center neighborhoods of Arab Scientific Heritage
University of Baghdad

(Abstract Search)

The search in these subjects makes an importanl accomplishment in the study of the scientific life in that (era) specialy what the wonen had from a scientific and social level in that(age) the studies of the scientestis which were brilliant in the this era never hed the same as the first scientests . because of the common mistakes toward some resesrchers says that the scientifial thoughts in that ear namedin less creativity which philep refers to it by saying " it is the age of collect and explain not the age of crentivit " so we can say in the search of this fied of historial studies still need much efforts from researchers , through their stndies which are capable to show the active pat for scientests personnales specially women who had a major effort in sciertific life in the jiffernt eras of the Islamic and Arabic cultures .